

الرُّوحُ والنَّفْسُ عَطِيَّةُ الخَالِقِ وصَنِيعةُ المَخْلُوقِ

"الرُّوحُ من أمرِ رَبِّي"

لا بوح فيها ولا إطناب. أرادها قاطعةً باترةً لكلِّ حائرٍ مُرتاب. هي خاصّةُ الله وسُرُّهُ المكين. هي كلمته.. مشينته في أن نكون. هي الـ"كُنْ"، والـ"كُونُ" من بعد "فَاعِلٌ" الفعل "يَكُونُ". هي المُشترِكُ القاسِمُ بين مخلوقاتِ الله جميعاً. لا يُستثنى منها دقيقٌ أم جسيمٌ. ولا يُحرَمُ منها كائنٌ ما أقام. هي المِحرَاكُ لكلِّ حيٍّ حَارِكٍ، وهي السُّكُونُ لكلِّ جامِدٍ بارِكٍ. هي أَسُّ وجودنا وأساسُ الوجود. تحلُّ وديعةً وتُغادرُ عزيزةً، لا تبدلُ فيها ولا تُغيّر. تلَوْنُ المُضَيِّفُ، والزَّائِرُ نبيلٌ أحدٌ لا يتلَوْنُ.

"ونفسٍ وما سواها"

وأما النَّفْسُ فخاصّةُ الإنسان وجرزُهُ الأعلى. بالنَّفْسِ، تُميّزُ الإنسانُ عن سائرِ الأشباهِ في الخلق. وبالإنسانِ، امتازتِ النَّفْسُ عن باقي الشُّركاءِ في الوجود. فالكلُّ خلقٌ، وهي صنِيعةُ الله جلَّ وعلا مولاَهُم، والإنسانُ قلٌّ قدره راعيها. جميعُ المخلوقاتِ تدينُ إلى الأحدِ الدَّيَّانِ خالقها، وأما النَّفْسُ فإلى الإنسانِ تدينُ. هي الفارقةُ، رفيقةُ الزَّمانِ وأنيسةُ المكانِ. لا تجدُ نفساً إلا والإنسانُ بها قرينٌ. كما لا تجدُ إنساناً إلا وهو بها ضنينٌ. كيفَ لا! وهي مُنتجُ الإنسانِ وجرزُهُ الأنفُسُ.

(بين قوسين)

لغةً، أَسَمَ اللهُ جلَّ وعلا بالنَّفْسِ، ثُمَّ أتبعه بالجملةِ الفعليةِ "وما سواها". الـ"وَ" البائدةُ ها هنا قد تكونُ استئنافيةً، وقد تكونُ لإنشاءِ القسمِ. متى كانتِ الـ"وَ" استئنافيةً عاطفةً، تُكَلِّمُ الـ"ما" التاليةُ لها مباشرةً نافيةً. حينها، يكونُ الله قد نفى انتسابَ فعلِ خلقِ النَّفْسِ عن ذاتهِ جلَّ وعلا، وألحقها عطيّةً ومكرمةً لواحدٍ من مخلوقاتِهِ. والإنسانُ هو الأنسبُ في تدبيرِ هكذا فعلٍ. فالنَّفْسُ خاصّتهُ، وهو راعيها ما أقامت فيه.

وقد تكونُ الـ"وَ" البائدةُ جملةً "وما سواها" لإنشاءِ القسمِ. عندها، يكونُ اللهُ قد ابتدأَ قسمه بالنَّفْسِ، ثُمَّ أتبعه قسمًا بخالقِ هذه النَّفْسِ. تكونُ عندها الـ"ما" التاليةُ لـ"وَ" اسمٌ موصولٌ بمعنى الَّذي ومرجعها إلى خالقِ هذه النَّفْسِ. الـ"ما" اسمٌ موصولٌ بمعنى الَّذي، وهي لغيرِ العاقلِ تعود. هذا يُضعِفُ الحُجَّةَ ويُضعِفُ بنيانَ هذا السياقِ البحثيِّ. مع ذلك، سأخوضُ فيه بحثاً لما وجدتهُ عندَ العامّةِ كما الخاصّةِ من ميلٍ لتبنيِّ هكذا مجازٍ لغويٍّ. واللُّغةُ العربيَّةُ كما علمتها مطواعةً مرنةً، تؤثرُ التَّوريَّةُ وتعشقُ المجازَ.

إذا أُرِجِعَتِ الـ"ما" إلى اللهِ، يكونُ اللهُ قد أَسَمَ بذاتهِ جلَّ وعلا كنايةً. وهذا ما ليس يُعرفُ عنه سبحانه وتعالى. فاللهُ يُقسِمُ بذاتهِ مباشرةً إذا شاءَ القسمَ (1)، فلا يستعيرُ بديعاً أو يوارِي كنايةً. إذاً، لا بُدَّ والحالةُ هذه أن يكونَ خالقُ النَّفْسِ هو غيرُ اللهِ جلَّ وعلا. وكما دائماً، يتصدَّرُ الإنسانُ قائمةَ المحظَّبينِ القابضينِ على فعلِ خلقِ النَّفْسِ مكرمةً من خالقِهِ جلَّ وعلا. فيكونُ اللهُ قد أَسَمَ بالنَّفْسِ وبالإنسانِ خالقِ هذه النَّفْسِ، على ما أُرِجِحُ وأرغبُ.

هي حصريةٌ لم يُجزها اللهُ لغيره جلَّ وعلا؛ القسمُ بمخلوقاتِ اللهِ. فاللهُ يُقسِمُ بمخلوقاتِهِ، إذا شاءَ، مكرمةً منه وتعظيماً. والشَّواهدُ القرآنيَّةُ ذاتُ الدَّلالةِ تفيضُ صيفافَ هذا المقالِ إذا ما أجمَلتُها ذكراً. وأما المخلوقاتُ فتقسِمُ باللهِ خالقها إذا أرادتِ حلفاً، أو فلتصمَّتْ.

أما الفعلُ "سَوَى" في "وما سواها" فيحتملُ معنيينِ لغةً. أولُهُما التَّقْوِيمُ والتَّهْدِيبُ والتَّنْمِيةُ. هو معنى لا لُبسَ فيه. أساسُهُ راسخٌ في الوجدانِ الجَمعيِّ للعامّةِ والخاصّةِ، كما وجودُهُ قاطعٌ جليٌّ في معامِجِ لغَتِهِم. وثانيهما، معنى الخلقِ والإيجادِ من العدمِ. هو مجازٌ لغويٌّ. يدعُمه الاستعمالُ الفطريُّ للفعلِ في الحياةِ اليوميَّةِ للنَّاسِ. ويُضعِفُه غيابُ التَّوثيقِ في معامِجِهِم اللُّغويَّةِ.

فأما الثَّاني فجدُّ مُتَّبِقٍ والبناءُ الفلسفيُّ لهذا المقالِ، وأما الأوَّلُ فمُوهنٌ. مع المعنى الأوَّلِ، تكونُ الـ"وَ" استئنافيةً، والـ"ما" نافيةً. ويبقى خالقُ هذه النَّفْسِ على ما اعتادَ عليه البشرُ وتفَقَّهوا؛ اللهُ جلَّ وعلا. وهذا التوجُّهُ قويٌّ له

ميراثه لغته وفقها. بيد أني مبال إلى ترجيح المعنى الثاني للفعل "سوى" لسببين. لأنه صادف أن انسق والبناء الفلسفي للمقال كما سبق وذكرت، أولاً. وثانياً، المسوغات عديدة مما سبق قوله، والمقدمات تكاد تكون وحيدة على ما أظنه. وبه، يكون الله قد أقسم بالنفس، نافية في الوقت ذاته عن ذاته جلّ وعلا فعل خلق هذه النفس.

"ولقد كرمنا بني آدم"

كرم الله جلّ وعلا الإنسان فأعلى من شأنه. منحه حصريّة الخلق، وحرّمها جميع خلقه. هو على صورة خالقه في فعل الخلق هذا، وهو على غير صورة في جميع ما عداها. هو فعل خلق مُقيّد وحصريّ. خلق ميدانه العوالم الداخليّة للإنسان من فكرٍ وعقيدة. خلق مُسمّاه النفس، وعنوانه العقل. فهل من عطية تعلق فعل الخلق مكرمة؟

والإنسان، كما علمناه أيضاً، حرّ في سلوك الصّاعدة أم الهابطة طريقاً. وهو حرّ في اعتماد الواصلة أم القاطعة منهجاً. واصلاً أم قاطعاً من كانت صنيعته ومنتوج حريته؛ النفس. هي حريّة لم تكُ لغيره من مخلوقات الله، والأخيرة أكثر من أن تُعدّ أو تُحصى. وبذلك يُزاد في الكرامات واحدة ولا أروع؛ الحريّة. حريّة الاختيار وحريّة العقيدة حكر الإنسان ومصدر عزّيه واعتزازه. بيد أنها حريّة مسؤولة سيّءاً عنها ذات زمان، وفي غير مكان.

"فألهمها فجورها وتقواها"

الخالق عظيم القدرة، خلقه جميلٌ مُكتملٌ. وأمّا الإنسان فضعيفٌ بالفطرة، صنعه منحولٌ مُلتبسٌ. والنفس، صنيعه الإنسان، تنساق في هذا السياق من الضعف والقصور لا تحيد. تجلّ لها ثنائيات الضعف والقلق مُذ فجرها وحتى مغيب شمسها. تتقلّب حائرة تعباً بين كفي قدرها. لا يهدأ لها موج، ولا يطوى لها شراع. والريح تتلاعب بدفّ السفين عابثةً لاهية، تحرمها يابساً وترسيها أهوالاً.

الخير يبدئها، والشّر عنها ليس ببعيد. الصدق فطرته، والكذب سهل المطايا غير عنيّد. تقواها لخالصها ضربه لازب، لكن للفجور حشودٌ وثبّاحٌ بأسهمٍ جدّ شديد.

"قد أفلح من زكّاهما وقد خاب من دساها"

جميع المخلوقات تعرف طوعاً أم كرهاً خالقتها جلّ وعلا. تصبو إليه كلّ صباح في سجودٍ وخشوع. هو خالقها، وهي على هذا اليقين مفطورة. وأمّا النفس، ربيبة الإنسان، فدور هذا العلم وذلك اليقين. هي وفيّة لحاملها وراعيها الإنسان دون غيره. حاضنة موثوقة لفكره ومعتقده. إن يلقمها تربّ مشرقة، أو يحرّمها ترو ناحلة لا حول ولا قوة. فله وحده حريّة تشكيلها على النحو الذي يريد ويرغب. إن هو وصل، وصلت هي. وإن هو فارق، تك هي مفارقة لا محالة.

الحريّة المسؤولة

النفس.. صنيعه الإنسان الخالدة أبداً. هي الباقية لما يفنى الجسد. هي أثره حين يُقتفى الأثر. النفس.. ربيبة الإنسان ومرآة ذاته من فكرٍ وعقيدة. هي ساح حريته وميدان فعلها. قومها استقامت. سلك معها العوج خذلته حين لا ينفع زوعٌ أم خذلان. هي زخر الإنسان وذخيرته ليوم الدين لما يُفتقد الأمن ويعزّ الأمن. هي الباقية، ما بقيت الأيام، شريط حياة ومدونة أفعال. هي الحافظة الجامعة لما قد كانه من حال.

هي النفس.. البرّ قسدها، لكن الشيطان على الدروب غرورٍ عريّب. القهقري سبّح سابح، أمّا علاها فكذح ومسير خطوه ونيد. الحقّ نجمة صبحها، والباطل قلعة ليلٍ وخراسٍ وبابٍ حديد. العدل تاج ملكها، وللظلم جند غلاظ سهمهم سديد.

(١) أقسم الله بذاته في سبع آيات قرآنية فقط. أقسم فيها جميعاً باسمه مباشرة جلّ وعلا من دون كناية أم تورية. والآيات القرآنية هي:

١- " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" (النساء- ٦٥)

٢- " ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين" (يونس- ٥٢)

٣- " فوربك لنسألنهم أجمعين" (حجر- ٩٢)

٤- " فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جنباً" (مريم- ٦٨)

٥- " فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون" (الذاريات- ٢٣)

- ٦- " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير" (التغابن- ٧)
 ٧- " فلا أقسم برب المشارق والمغرب إنا لقادرون" (المعارج- ٤٠)

في سياقاتٍ أخرى، أنصح بقراءة المقالات التالية:

- هل يفيد التداخل الجراحي الفوري في أدبيات النخاع الشوكي وذييل الفرس الرضائية؟
 - النقل العصبي، بين مفهوم قاصر وجديد حاضر
The Neural Conduction.. Personal View vs. International View
 في النقل العصبي، موجات الضغط العاملة *Action Pressure Waves*
 في النقل العصبي، كمونات العمل *Action Potentials*
 وظيفة كمونات العمل والتيارات الكهربائية العاملة
 في النقل العصبي، التيارات الكهربائية العاملة *Action Electrical Currents*
 الأطوار الثلاثة للنقل العصبي
 المستقبلات الحسية، عبقرية الخلق وجمال المخلوق
The Neural Conduction in the Synapses النقل في المشابك العصبية
 عقدة رانفييه، ضابطة الإيقاع *The Node of Ranvier, The Equalizer*
 وظائف عقدة رانفييه *The Functions of Node of Ranvier*
 وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الأولى في ضبط معايير الموجة العاملة
 وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثانية في ضبط مسار الموجة العاملة
 وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثالثة في توليد كمونات العمل
 في فقه الأعصاب، الألم أولاً *The Pain is First*
 في فقه الأعصاب، الشكل.. الضرورة *The Philosophy of Form*
 تخطيط الأعصاب الكهربائي، بين الحقيقي والموهوم
 الصدمة النخاعية (مفهوم جديد) *The Spinal Shock (Innovated Conception)*
 أدبيات النخاع الشوكي، الأعراض والعلامات السريرية، بحث في آليات الحدوث *The Spinal Injury, The Symptomatology*
 الرمع *Clonus*
 اشتداد المنعكس الشوكي *Hyperactive Hyperreflexia*
 اتساع باحة المنعكس الشوكي الاشتدادي *Extended Reflex Sector*
 الاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس الشوكي الاشتدادي *Bilateral Responses*
 الاستجابة الحركية العديدة للمنعكس الشوكي *Multiple Responses*
 التنكس الفاليري، يهاجم المحاور العصبية الحركية للعصب المحيطي.. ويعف عن محاوره الحسية
Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons
 التنكس الفاليري، رؤية جديدة *Wallerian Degeneration (Innovated View)*
 التجدد العصبي، رؤية جديدة *Neural Regeneration (Innovated View)*
 المنعكسات الشوكية، المفاهيم القديمة *Spinal Reflexes, Ancient Conceptions*
 المنعكسات الشوكية، تحديث المفاهيم *Spinal Reflexes, Innovated Conception*
 خلقت المرأة من ضلع الرجل، رائعة الإحياء الفلسفي والمجاز العلمي

المرأة تقرّر جنس وليدها، والرجل يدعى!

الرُّوحُ والنَّفْسُ.. عَطِيَّةُ خَالِقٍ وَصَنِيْعَةُ مَخْلُوقٍ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ.. فِي الْمِرَامِيِّ وَالذَّلَالَاتِ
تُفَاحَةُ أَدَمَ وَضَلَعُ أَدَمَ، وَجِهَانُ لُصُورَةِ الْإِنْسَانِ.

حَوَاءُ.. هَذِهِ

سَفِينَةُ نُوحٍ، طُوقُ نَجَاةٍ لَا مَعْرَاجَ خِلَاصٍ
الْمَصْبَاحُ الْكَهْرِبَائِيُّ، بَيْنَ التَّجْرِيدِ وَالتَّنْفِيذِ رِحْلَةُ أَلْفِ عَامٍ
هَكَذَا تَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلِ
فَقَةُ الْحَضَارَاتِ، بَيْنَ قُوَّةِ الْفِكْرِ وَفِكْرِ الْقُوَّةِ
الْعِدَّةُ وَعِلَّةُ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ مُطْلَقَةٍ وَأَرْمَلَةٍ ذَوَاتِي عَفَافٍ

تَعُدُّ الزَّوْجَاتِ وَمَلِكُ الْيَمِينِ.. الْمَنْسُوحُ الْأَجَلُ
النَّقَبُ الْأَسْوَدُ، وَفِرْضِيَّةُ النَّجْمِ السَّاقِطِ

جُسَيْمُ بَارٍ، مِفْتَاحُ أَحْجِيَّةِ الْخَلْقِ

صَبِيٌّ أَمْ بِنْتُ، الْأُمُّ تُقَرَّرُ!

الْقَدَمُ الْهَابِطَةُ، حَالَةٌ سَرِيرِيَّةٌ

خَلَقَ حَوَاءُ مِنْ ضَلَعِ أَدَمَ، حَقِيقَةٌ أَمْ أُسْطُورَةٌ؟

شلل الصَّفِيرَةِ الْعَضْدِيَّةِ الْوِلَادِيِّ *Obstetrical Brachial Plexus Palsy*

الْأَذْيَاتُ الرَّضِيَّةُ لِلْأَعْصَابِ الْمَحِيطِيَّةِ (١) التَّشْرِيحُ الْوَصْفِيُّ وَالْوَضَائِفُ

الْأَذْيَاتُ الرَّضِيَّةُ لِلْأَعْصَابِ الْمَحِيطِيَّةِ (٢) تَقْيِيمُ الْأَذْيَةِ الْعَصْبِيَّةِ

الْأَذْيَاتُ الرَّضِيَّةُ لِلْأَعْصَابِ الْمَحِيطِيَّةِ (٣) التَّدْبِيرُ وَالْإِصْلَاحُ الْجِرَاحِيُّ

الْأَذْيَاتُ الرَّضِيَّةُ لِلْأَعْصَابِ الْمَحِيطِيَّةِ (٤) تَصْنِيفُ الْأَذْيَةِ الْعَصْبِيَّةِ

قَوْسُ الْعِضْلَةِ الْكَاتِبَةِ الْمُدَوَّرَةِ *Pronator Teres Muscle Arcade*

شَبِيهُ رِبَاطِ *Struthers-like Ligament* ... *Struthers*

عَمَلِيَّاتُ التَّنْقَلِ الْوَتْرِيِّ فِي تَدْبِيرِ شَلْلِ الْعَصَبِ الْكَعْبَرِيِّ *Tendon Transfers for Radial Palsy*

Who Decides the Sex of Coming Baby? (Concise)

مَنْ يُقَرِّرُ جِنْسَ الْوَلِيدِ (مُخْتَصِرٌ)

ثَلَاوِثُ الذِّكَاةِ.. زَادُ مَسَافِرِ! الذِّكَاةُ الْفَطْرِيُّ، الْإِنْسَانِيُّ، وَالْإِصْطِنَاعِيُّ.. بَحْثٌ فِي الصِّفَاتِ وَالْمَالَاتِ

الْمَعَادِلَاتُ الصَّفِيرِيَّةُ.. الْحَدَاثَةُ، مَالِهَا وَمَا عَلَيْهَا

متلازمة العصب بين العظام الخلفي *Posterior Interosseous Nerve Syndrome*

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ، فِيزْيُولُوجِيَا جَدِيدَةٌ *Spinal Reflex, Innovated Physiology*

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ الْإِشْتِدَادِيُّ، فِي الْفِيزْيُولُوجِيَا الْمَرْضِيَّةِ *Hyperreflex, Innovated*

Pathophysiology

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ الْإِشْتِدَادِيُّ (١)، الْفِيزْيُولُوجِيَا الْمَرْضِيَّةِ لِقُوَّةِ الْمُنْعَكْسِ *Hyperreflexia,*

Pathophysiology of Hyperactive Hyperreflex

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ الْإِشْتِدَادِيُّ (٢)، الْفِيزْيُولُوجِيَا الْمَرْضِيَّةِ لِلْإِسْتِجَابَةِ ثَنَائِيَّةِ الْجَانِبِ لِلْمُنْعَكْسِ

Hyperreflexia, Pathophysiology of Bilateral- Response Hyperreflex

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ الْإِشْتِدَادِيُّ (٣)، الْفِيزْيُولُوجِيَا الْمَرْضِيَّةِ لِإِتْسَاعِ سَاحَةِ الْعَمَلِ *Extended*

Hyperreflex, Pathophysiology

الْمُنْعَكْسُ الشُّوكِيُّ الْإِشْتِدَادِيُّ (٤)، الْفِيزْيُولُوجِيَا الْمَرْضِيَّةِ لِلْمُنْعَكْسِ عَدِيدِ الْإِسْتِجَابَةِ الْحَرَكِيَّةِ

Hyperreflexia, Pathophysiology of Multi-Response hyperreflex

الرّمع (١)، الفرضيّة الأولى في الفيزيولوجيا المرضيّة
الرّمع (٢)، الفرضيّة الثّانية في الفيزيولوجيا المرضيّة



٢٠١٩/٤/٢٥